

## أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر

بقلم الدكتور نسيم مقل

وجه الأهمية فى دراسة تاريخ الهوارة :

لقد نزحت الى مصر بعد ظهور الاسام قبائل عربية كثيرة ، بيد انه لم يقدر لقبيلة منها ، وبخاصة القبائل التى نزلت بصعيد مصر ، ان تحظى بالشهرة والمكانة التى حظيت بها قبيلة الهوارة فى الصعيد بل لم يقدر لواحدة منها ان تبسط نفوذها وسلطانها على مناطق واسعة من الصعيد بمثل ما فعلت هذه القبيلة .

فقد حكم شيخ العرب همام زعيم قبيلة الهوارة الصعيد جنوبى اسيوط حتى اسنا فترة من الزمن ، بل لقد امتد نفوذه الى ابعد من ذلك حتى بلاد النوبة (١) ، وأقام دولة فى صعيد مصر عرفت فى التاريخ باسم دولة شيخ العرب همام استمرت مالا يقل عن أربع سنوات ( ١٧٦٥ — ١٧٦٩ م ) .

والباحث فى تاريخ الهوارة يجد ان نفوذهم فى الصعيد قد استند الى دعائمين رئيسيتين : احدهما تتمثل فى نشاطهم البارز فى زراعة الأرض ، ومشاربتهم — دون سائر القبائل الأخرى — فى استصلاح الاراضى الصحراوية ، التى أمكنهم استغلال المساحات الكبيرة منها فى الانتاج الزراعى ، والدعامة الأخرى تتمثل فى شهرتهم الواسعة فى تربية الخيول ، وامتلاك الكثير منها ، وقد كانت عوناً لهم فى صراعهم مع المالك والحكومة المركزية من أجل السلطة والنفوذ .

والهواره قبل ان يصلوا الى حكم الصعيد دخلوا فى صراع مع أمراء  
الممالك ونازعوهم السلطة ، وقاموا بالثورات على الحكومة المركزية فى  
التاهرة ، واشتبكوا فى حروب معها ، حتى اذا ما انفرد على بك الكبير  
بحكم مصر شن حربا شعواء عليهم وانتهت بزوا لسلطتهم ، وان لم تقض  
كلية على نفوذهم ، الذى ظل متغلغلا فى مراكز وقرى الصعيد ، الى ان  
تولى محمد على حكم مصر ، فسمى الى القضاء على نفوذهم  
اذ أمن بالسيف والاعداد فيهم حتى قتل العديد منهم ، كما دمر  
قراهم واستولى على ممتلكاتهم ، فارتاح من منافستهم له على السلطة  
ومناواتهم لحكومته على نحو ما فعل مع الممالك .

وهكذا كان لهواره الصعيد دور بارزا على مسرح الأحداث فى مصر  
فى القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر فى الصراع من أجل  
السلطة والنفوذ .

وعلى الرغم من أهمية هذا الدور التاريخى لهواره الصعيد ، وأثرهم  
فى الحياة السياسية والاقتصادية فى البلاد ، فان المؤرخين المحدثين  
يقصرون عن معالجته ، أو حتى الإشارة اليه حين يتعرضون لحكم الممالك  
أو لحكم محمد على فى صراع كل منهما ضد القوى المنافسة له فى حكم  
البلاد — مع ان المؤرخين المعاصرين من أمثال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي  
قد عرضوا له ، اذ تناول هذا المؤرخ المصرى الجليل فى كتابه « عجائب  
الاثار فى التراجم والأخبار » قصة الصراع بين الهواره والممالك ، وأفاض  
بصفة خاصة فى الحديث عن الحرب الأخيرة التى دارت بين على بك  
الكبير وشيخ العرب همام زعيم الهواره فى الصعيد ، كما عرض لهذا  
الدور التاريخى لقبيلة الهواره بعض الرحالة الموثوق بهم مثل الرحالة  
بوركهارد Burchardt الذى ضمنه بعض ملاحق كتابه *Travels in nubia*

( رحلات فى النوبة ) وقد زار هذا الرحالة السويسرى مصر والسودان  
فى اوائل القرن التاسع عشر ، واتيحت له فرصة التعرف على بعض  
زعماء الهواره والاتصال بهم ، وأمكنه أن يلم بجوانب هامة من تاريخهم  
وعاداتهم وتقاليدهم ونظم معيشتهم فى المناطق التى كانوا قد بسطوا  
نفوذهم عليها ، وبخاصة فى مراكز وقرى قنا ، مما يعد صفحة هامة  
مطلوبة فى تاريخهم .

وإذا كان قد أتبع لبعض الأساتذة المصريين فرصة ترجمة كتاب رحلة « بوركهارد » السالف الذكر إلى اللغة العربية ، مما يعد في حد ذاته مجهودا علميا يستحق التقدير ، إذ يخدم جانباً هاماً من الدراسات الأفريقية بالمكتبة العربية ، إلا أن يد الترجمة لم تمتد إلى ملاحق هذا الكتاب رغم أهميتها ، وهي التي تناولت فيها تناولت من الموضوعات السياسية والاجتماعية والتاريخية الهامة موضوع بسط الهوارة نفوذهم على الصعيد وموقف محمد على العدائي منهم .

وربما كان هذا القصور وغيره من الدوافع الرئيسية التي دفعتني للتصدي للكتابة في هذا الموضوع ، مما قد يلقي الضوء على صفحة هامة مطوية من تاريخنا القومي ، باعتبار أن الهوارة قبيلة من العرب نزحت إلى مصر حيث استوطنت مناطق واسعة من الصعيد امتدت كما أسلفنا ، جنوبي أسبوط حتى أسنا ، واستقرت بها وارتبطت بأرضها ارتباطاً وثيقاً ، بعد أن أفلحوها بكدهم وكفاحهم ومدوا يد العمران إليها ، وتصدوا للحكام من المالك والأتراك ونازعوهم السلطة عندما سعى هؤلاء الحكام للقضاء على سلطاتهم ونفوذهم الذي أقاموه في مناطق الصعيد وقد تأصلوا فيها وارتبط تاريخهم ومستقبلهم بها .

وسأتناول في هذا البحث تاريخ نزوح الهوارة إلى مصر ، وازدياد نفوذهم في الصعيد ، وقيام دولة شيخ العرب همام زعيمهم ، ونظام حكم الهوارة في الصعيد ، وما يدور من حديث حول جمهورية همام وأخيراً زوال شيخ العرب همام على يد علي بك الكبير ، ثم موقف محمد علي بعد توليه حكم مصر من الهوارة في الصعيد ، وما كان من أمر تخلصه من معارضتهم لسلطاته بالقضاء على زعمائهم وتدمير قراهم على يد ابنه إبراهيم باشا .

### تاريخ نزوح قبيلة الهوارة إلى مصر :

يقول مكمايل Macmichael (٢) البريطاني الذي عني بدراسة تاريخ القبائل العربية في مصر والسودان « ان قبيلة هوارنة نزحت من بلاد المغرب إلى مصر حيث استقرت في مديرية البحيرة ثم اضطرت في القرن الرابع عشر الميلادي تحت ضغط قبائل زنارة وحلفائهم من عرب

هذه المديرية الى الهجرة جنوبا ، فاستقر الكثير منهم فى مديريات الصعيد المختلفة ، وهناك أخذ يعلو شأنهم عندما استقروا فى جرجا وما حولها عام ١٣٨٢ زمن حكم الأمير برقوق أول أمراء المماليك البرجية ، اذ بفضل مهارتهم ومنابرتهم فى الزراعة أمكن استخلاص الأراضى من برائن الصحراء ، بعد أن كانت رمال الصحراء قد طغت عليها ، ونجح الهوارة دون سائر القبائل الأخرى التى هاجرت الى مصر من بلاد المغرب فى توطيد أقدامهم فى وادى النيل (٣) . ويمضى الزمن زاد عددهم وقوى بأسهم حتى انتشروا فى معظم الوجه القبلى ، وبسطوا نفوذهم فى مراكز قنا .

### ازدياد نفوذ الهوارة وقيام دولة شيخ العرب همام :

على أن نفوذ الهوارة فيما يبدو قد امتد الى الجنوب من قنا حتى أسوان اذ يضيف مكمايكل Macmichael الى ذلك « انه قرب نهاية القرن الرابع عشر هاجم الهوارة بالاشتراك مع أولاد ككز مدينة أسوان ، وبعد ذلك ببضع سنوات انقلبوا على حلفائهم ، واستولوا على المدينة بأنفسهم بعد أن أعملوا السيف فى أهلها » (٤) .

أما الرحالة « بوركهارد » Burchardt الذى زار وادى النيل فى أوائل القرن التاسع عشر ، فبعد أن وصف انتشار الهوارة فى وقت زيارته فى القرى الممتدة على الضفة الغربية للنيل من أسيوط شمالا الى فرشوط جنوبا ، وبالقرب من قنا على الشاطئ الشرقى ، وتمتعهم بالقوة والثروة ، فإنه يروى لنا بالتفصيل كيف أن أسرة زعيمهم همام أبو يوسف ( فى القرن الثامن عشر ) قد ادعت لنفسها حكم مصر العليا ( الصعيد ) جنوب أسيوط ، وأن المماليك فى ذلك الوقت قد اضطروا الى الاعتراف والاتفاق معهم على ترك هذه البلاد تحت نفوذهم « نفوذ الهوارة » (٥) .

ثم يضيف « بوركهارد » الى ذلك « أن همام المذكور قد أمكنه أن ييسر سلطانه شمال النوبة التى زارها مرات عديدة وتوغل جنوبا حتى المحس » (٦) .

## نظام حكم الهوارة فى الصعيد :

هكذا نجح الهوارة بزعامة همام أبو يوسف فى إقامة دولة لهم فى الصعيد عرفت باسم دولة شيخ العرب همام . وبعض الكتاب المجتهدين يرى أن نظام الدولة التى أقامها همام فى الصعيد كان جمهوريا، وأن همام أول من أقام النظام الجمهورى فى مصر ، وأن مصر بذلك تكون قد عرفت تجربة النظام الجمهورى على يد همام قبل الثورة الفرنسية نفسها بسنوات ، ويستدل على ذلك بأقوال بعض المؤرخين والكتاب الذين عاصروا هذه الحقبة من الزمن التى قامت فيها هذه الدولة فى القرن الثامن عشر ( ١٧٦٥ - ١٧٦٩ ) .

أن الدكتور لويس عرض فى كتابه « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث ( البحث الثانى ) الفكر السياسى والاجتماعى » يؤكد هذا الراى مستندا الى أقوال بعض المعاصرين أمثال رفاعة الطهطاوى فى كتابه « تخلص الابريز » وما ورد فى مذكرات المعلم ( الجنزل يعقوب ) فى مشروع استقلال مصر الذى قدمه عام ١٨٠١ م الى الدول الأوربية مشيرا فيه الى حكومة شيخ العرب همام فى الصعيد كمثال يمكن أن تكون عليه حكومة مصر عند حصولها على الاستقلال .

فقد ذكر رفاعة الطهطاوى فى وصفه لحالة الراى العام فى فرنسا عام ١٨٣٠ بأن ثورة لويس فيليب ملك الفرنسيين على شارل العاشر قوله « اعلم أن هذه الطائفة ( يتصد الفرنسيين ) متفرقة فى الراى فرقتين أصليتين وهما الملكية والحرية ، والمراد بالملكية اتباع الملك القائلين بأنه ينبغى تسليم الأمر لولى الأمر من غير أن يعارض فيه من طرف الرعية بشئ والآخرين يميلون الى الحرية بمعنى أنهم يقولون لا ينبغى النظر الا فى القوانين فقط والملك إنما هو منفذ للأحكام طبقا ما فى القوانين فكأنه عبارة عن آلة ، ولا شك أن الرايين متباينان . . ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد أن يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك أصلا .

« ولكن لما كانت الرعية لا تصلح أن تكون حاكمة ومحكومة ، وجب أن توكل منها من تختاره منها الحكم ، وهذا هو مثل مصر فى زمن حكم الهوامية فكانت إمارة الصعيد جمهورية التزامية » ( ٧ ) .

ويعلق الدكتور لويس عوض على ذلك بأن هذا الكلام خطير لأن معناه أن مصر قد عرفت تجربة النظام الجمهورى قبل الثورة الفرنسية نفسها بسنوات قليلة . وأهمية هذا الكلام من أنه صادر من مفكر كبير مثل رفاعة الطهطاوى العارف أدق معرفة بالنظم والمذاهب السياسية ، وهو لا يمكن أن يطلق القول على النظام الجمهورى فى فرنسا ويشبهه بالنظام الجمهورى فى مصر إلا إذا كانت معلوماته عن ثورة همام تؤكد ذلك ( ٨ ) .

ويفسر الدكتور لويس مفهوم الجمهورية عند رفاعة فى جمهورية شيخ العرب همام « بأن أركان الفكرة الجمهورية عند رفاعة الطهطاوى كما حددها هى « أن يكون الحكم بالكلية للرعية » أى أن الأمة مصدر السلطات كما نقول نحن فى الدساتير الحديثة وأنه « لا حاجة لملك أصلا » أى أن يكون للدولة رئيس وجهاز حكم غير متوارث وإنما نابع من القاعدة الشعبية وأن الأمة يجب أن توكل عنها من تختاره منها للحكم ، وهذا التوكيل سواء تم عن طريق الانتخاب أو عن طريق الاستفتاء أو عن طريق البيعة أو عن طريق آخر هو المقابل لفكرة التوكيل أو التفويض » ( ٩ ) .

أما بالنسبة لما ورد عن جمهورية همام فى مشروع المعلم يعقوب ( الجنرال يعقوب ) الخاص باستقلال مصر الذى قدمه عام ١٨٠١ الى الدول الأوربية كنموذج لنظام الحكم الذى يقترح قيامه فى مصر المستقلة ، فى القسم السابع من مذكراته ( مذكرات المعلم يعقوب ) التى قدمها سكرتيره الفارس لاسكارس الى الكابتن جوزيف ادموندز ، قومندان السفينة بالاس لرفعها الى مجلس الوزراء البريطانى عن طريق وزير البحرية البريطانية ، يذكر المعلم يعقوب « وإذا ما اجازت الحكومات الأوربية استقلال مصر فالسؤال هو كيف يحكم المصريون أنفسهم ، وكيف يدافعون عن استقلالهم .. فلتكن الحكومة الجديدة عادلة وقاسية وقومية كحكومة شيخ العرب همام فى الصعيد التى رويت لك قصتها فهى بالتأكيد سوف تكون موضع الاحترام والطاعة والحب » .

ومهما يكن من أمر نظام الدولة التى أقامها شيخ العرب همام فى الصعيد ، فإن الذى يعنينا فى هذا المقام هو الوقوف على نظام حكم الهوارة

لبلاد الصعيد التى خضعت لنفوذهم ، وهو ما عنى بإبرازه الرحالة بوركهارد Burchardt الذى جاء الى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر ، وزار مناطق الهوارة فى الصعيد واختلط ببعض زعمائهم ، وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم وجوانب هامة من تاريخهم ونظم حكمهم سجلها فى ملاحق كتاب رحلته .

ان الرحالة بوركهارد Burchardt يصف نظام حكم الهوارة فى الصعيد بالصرامة والتعالى ، ويذكر أنهم كانوا يفرضون ضريبة على الأرض وكذلك كانت تفرض المكوس على التجارة وبخاصة فى قنا وفرشوط وجرجا ، ويضيف « بوركهارد » الى ذلك أن كثيرا من أقارب همام كانوا يحكمون فى مراكزهم بالقسوة وان القبط كانوا أكثر تأثرا بقسوتهم ، فقد تعرضوا — باستثناء من كان يعمل منهم لدى الهوارة ككتبة أو صيارفة — لأعمال الاغتصاب وبخاصة من كان يعمل منهم فى الزراعة أو صناعة النسيج . . . وكان الفقراء منهم يعملون كرقيق للأرض مقابل تمتعهم بالحماية أو امدادهم بالقوت والكساء واذا حدث أن أصاب أحدهم الثراء فإنه يعنى من الأعمال الشاقة ويحمى من استبداد أى شيخ آخر ، ولكن يضطر الى تقديم الهدايا لسيده من وقت لآخر فى كل مناسبة » (١٠).

ويحدثنا « بوركهارد » عن نظام فرض الضريبة على الأرض الزراعية « بأن شيوخ القرى كانوا يتسلمون ضريبة الأرض من الفلاحين ، وفى كل جزء من المناطق التى خضعت لنفوذ الهوارة كانت الضريبة على الأرض لا تفرض على الفدان كما هو الحال الآن ، وإنما كل مركز يدفع المبلغ الاجمالى للضريبة المقررة عليه وشيوخ القرى كان لهم الحرية فى توزيعها على الفلاحين حسب هواهم ، وعن هذا الطريق جمعوا ثروة كبيرة » (١١) .

اما مناطق الصعيد التى خضعت لنفوذ الهوارة وطبق عليها هذا النظام الضريبى فإن الرحالة « بوركهارد » يؤكد أن قبيلة الهوارة كانت تحتل جميع القرى على الشاطئ الغربى للنيل من قرب أسيوط شمالا حتى فرشوط جنوبا ، وبالقرب من قنا على الشاطئ الشرقى للنيل وان أكثر الفلاحين ثراء فى هذه القرى كانوا يتبعون هذه القبيلة وحتى تولى محمد على حكم مصر كانوا أقوىاء جدا ، وفرع اولاد يحيى الذين استقروا على

الضفاف الشرقية للنيل من بهجوره وحتى قنا وتشمل القرى الكبيرة للسلامية والقصر والصياد وفاو والشاورية ، حازوا على شهرة كبيرة بأعمالهم الثورية وقيامهم بالثورات (١٢) .

وأخيرا يشرح الرحالة « بوركهارد » الدعائم التى ارتكز عليها حكم الهوارة فى الصعيد بقوله « ان إقليم الهوارة اشتهر بأنه اغنى بقاع مصر بالخيول وكل فلاح كان يمتلك حصانا ، ومن ثم فان كتيبة كبيرة من الفرسان كان يمكن جمعها فى اللحظة الحاسمة . وفى الوقت نفسه كانت أراضيهم تزرع جيدا ومن اكثر البقاع المصرية ازدهارا بالسكان . ومن تل بمدينة طهطا الصغيرة استطعت ان احصى حسب امتداد بصرى ٣٥ قرية » (١٣) .

ولقد امتدح الرحالة « بوركهارد » طبيعة الكرم التى اشتهر بها شيوخ الهوارة وقد بات ليلة عند واحد منهم بقرية مقابل ابيدوس . ويذكر انه وجد فى بيت هذا الشيخ الهوارى فى تلك الليلة أكثر من ستين شخصا يتناولون طعام العشاء فى فناء البيت (١٤) .

أما عن علاقات الهوارة بجيرانهم من البدو والقبائل الأخرى المجاورة فان الرحالة « بوركهارد » يذكر أن حكم الصعيد لم يخلص للهمامية تماما ، فقد كانوا يتعرضون للهجمات المتواصلة من بدو ليبيا ، وكذلك من القبائل القاطنة فى الصحراء غرب أسبوط فى السهل المواجه لبنى عدى ، وان معارك دموية كانت تنشب بينهم ولا يزال الهوارة يذكرونها حتى اليوم ، وكذلك كانوا يتعرضون لهجمات أعدائهم التقليديين من قبيلة « قصاص » التى تقطن البلاد الواقعة على الضفاف الغربية من طيبة الى القرب من اسنا (١٥) .

### هزيمة الهوارة وزوال دولتهم على يد على بك الكبير :

على ان الخطر الحقيقى الذى كان يهدد دولة الهوارة لم يكن يتمثل فى البدو أو القبائل الأخرى المجاورة لهم التى كانت تشن عليهم الغارات من وقت لآخر ، وانما كان يتمثل فى منافسيهم الأصليين على السلطة والحكم من المماليك . فهؤلاء وان كانوا قد اتفقوا معهم على ترك حكم الصعيد لهم فانما كان ذلك تحت ضغط ازدياد قوة الهوارة فى هذه البلاد وعدم قدرة المماليك



على مواجهتها . بيد أن ذلك لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما استعاد المماليك قوتهم عقب انفراد على بك الكبير بحكم مصر ، فتوالت هجماتهم على الهوارة الذين انهزموا أمامهم فى عدد من المعارك الدموية ، وقد جرح خلالها الزعيم همام الهوارى ، واضطر الى الفرار الى اسنا ، حيث توفى ودفن بالقرب من نقاده مقابل قوص (١٦) .

ولقد وصف الشيخ عبد الرحمن الجبرى المؤرخ المصرى المعاصر المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع بين المماليك والهوارة من أجل السلطة ، وما كان من أمر الحرب الفاصلة التى دارت بين قوات على بك الكبير بقيادة محمد بك أبو الذهب والهوارة ، والتى انتهت بهزيمة شيخ العرب همام وزوال دولته ، وما كان لخيانة ابن عم همام من اثر فى الهزيمة .

يقول الجبرى « وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بك أبو الذهب الى جهة قبلى لمناذرة شيخ العرب همام كما تقدم وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهما من حدود برديس (١٧) وتم الأمر على ذلك ورجع على بك الى مصر أرسل على بك يقول له انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ولا يبقى منهم احدا بدائرتك فجمعهم وأخبرهم وقال لهم اذهبوا الى أسىوط واملكوها قبل كل شيء ، فان فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة ، وانا أمكم بعد ذلك بالرجال والمال واستصوبوا رايه وبادروا وذهبوا الى أسىوط ، وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف على بك الكبير وذو الفقار كاشف ، وكانوا قد حصنوا البلدة وجهاتها وبنوا كرائك والبوابة ، وركبوا عليها المدافع .. واشتعلوها وأحرقوا الباب وهجموا على البلدة ولم يكن بهم طاقة لكثرتهم وهم ( جماعة صالح بك وباقى القاسمية وجماعة الخشاب وجماعة الفلاح وجماعة مناو ويحىى السكرى ... وغيرهم ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد فملكوا أسىوط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها ، وقد وردت الاخبار بذلك الى على بك فعين للسفر ابراهيم بك بلقيا ومحمد بك أبو شنب ... ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومقاربة ... ثم سافر محمد بك أبو الذهب ورضوان بك وعدد من الأمراء والصناجق وضم اليهما ما جمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من ولاية ودروز ومقالة وشوام ... وذهب الجميع الى

أن وصلوا الى قرب أسيوط ... وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم وهم قليلون بالنسبة لهم ووضع الحرب واشتد الجلاذ وبذلوا جهودهم فى الحرب ... وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم وذلك عند جبانة أسيوط ... وأقاموا بأسيوط أياما ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة ، واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأفراد المهزومين ، وراسل ( محمد بك أبو الذهب ) محمد بك اسماعيل ابو عبدالله وهو ابن عم همام ومناه ووعده برياسة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله وصدق تمويهاته وتغاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه . ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم خرج من فرشوط وبعد عنها ثلاثة أيام ، ومات مكودا مقهورا ، ووصل محمد بك ومن معه الى فرشوط فلم يجد مائعا فملكوها ونهبوها ، واخذوا جميع ما كان بدوائر همام وأقاربه واتباعه من ذخائر وأموال وغلال وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كان لم تكن « (١٨) » .

### محمد على ومنبحة الهوارة :

على ان هزيمة الهوارة على يد على بك الكبير عام ١٧٦٩ وان كانت قد قضت على دولتهم التى زالت نهائيا منذ هذا التاريخ ، الا انها لم تقض تباها على نفوذهم فى المراكز التى انتشروا فيها فى الصعيد ، اذ يبدو انهم سرعان ما جمعوا شملهم واستعادوا قوتهم بعد زوال دولة على بك الكبير . وهو ما يؤكد الرحالة « بوركهارد » Burchardt الذى زار مراكز الهوارة واختلط بهم من خلال زيارته لمصر عام ١٨١٣ ، اذ يذكر هذا الرحالة « ان سلطان الهمامية قد قضى عليه تبعا لذلك ، ولكن فيما يتعلق بقوة الهوارة ، فقد ظلت قائمة ، وانه على الرغم من ان بكوات الماليك كانوا فى حرب دائمة معهم ، فانهم لم يستطيعوا كسر شوكتهم » (١٩) ويستدل « بوركهارد » على ذلك — على سبيل المثال — بأولاد يحيى الذين ظلوا دائما محافظين على استقلالهم ، وكذلك بشيوخ القرى انفسهم الذين كانوا يتسلمون ضريبة الارض من الفلاحين (٢٠) .

وعند تولي محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ وجد الهوارة يتمتعون بالقوة في المناطق التي بسطوا عليها نفوذهم في الصعيد ، ومن ثم عمل على القضاء على نفوذهم في هذه البلاد بمثل ما فعل مع المماليك . وقد قضى عدة سنوات قبل أن يتمكن من اخضاع الهوارة في المراكز التي انتشروا فيها . والرحالة « بوركهارد » قد أوضح لنا الوسائل التي انتهجها محمد على للقضاء على نفوذ الهوارة في الصعيد .

يقول الرحالة « بوركهارد » Burchardt لقد قام حكام محمد على في الصعيد : عابدين بك وصالح آغا وحسين باشا ، بنهب الكثير من قراهم . ولكن ابنه ابراهيم باشا هو الوحيد الذي استطاع أن يثبت سلطته في هذه الجهات عن طريق القسوة والصرامة التي اتبعها مع زعماء الهوارة بأن قتل بالسيف أو عن طريق تنفيذ حكم الإعدام فيما يقرب من ألفي هواري على أقل تقدير . كما غير شيوخ القرى بنفس الطريقة التي غير بها الزعيم الوهابي شيوخ شبه الجزيرة العربية ، فمزق وحدة القرى بينهم ، وعاقب بشدة وبدون رحمة جميع الذين كانوا يبدون أدنى معارضة أو مقاومة لسلطته . وآخر قرية من قرى الهوارة دمرها ابراهيم في الصعيد كانت أرمنت المقر الرئيسي للقصاص ... ففي خريف عام ١٨١٣ انتقض ابراهيم ليلا على القرية وقتل حوالي الثلاثين من الشخصيات البارزة فيها وسلب الجميع أموالهم وممتلكاتهم » (٢١) .

ويضيف الرحالة « بوركهارد » الى ذلك « أنه منذ ذلك التاريخ خضع الصعيد كله لسلطانه ، واضطر الهوارة الآن الى أن يتركوا خيولهم ، ولا أحد غير شيوخ القرى يجرؤ على الاحتفاظ بها ، وتبعاً لذلك تضاعلت قوة فرسانهم الرهيبة » (٢٢) .

## مراجع البحث

- Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III.
- Macmichael : A history of the Arabs in the Sudan Vol. I.
- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار .
- رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز طبعة القاهرة ١٩٠٥ .
- لويس عوض ( دكتور ) : المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث ( المبحث الثانى ) الفكر السياسى والاجتماعى .
- محمد عوض محمد ( دكتور ) : السودان الشمالى .
- مذكرات الجنرال يعقوب .

## الحواشي

(1) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, pp. 152 - 531 - 533.

(2) Macmichael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I. p. 152.

(٣) يحدثنا مكميل Macmichael عن وجود قبيلة تعرف باسم « الهوارة الجلابة » تعيش فى اقليم دارفور غرب السودان احترفوا التجارة . ولعلمهم قد انتقلوا الى شمال هذا الاقليم برفقة جلابة الفور ، وبعض هؤلاء الجلابة اتخذ كردفان موطناً له حيث أخذ فى تشييد القرى فى المنطقة الممتدة من بارة الى الأبيض وفى منطقة أم روابه ، بعد أن استولوا على الأرض من الجوامعة .

(Macmichael : Op. Cit., p. 335).

وهناك قبيلة أخرى تعرف « بالهواوير » فى اقليم دنقلة التى اشتهرت بتربية الأبل ، وقد كانت هجرتهم الى هذا الاقليم — كما يذكر الدكتور/ محمد عوض محمد فى كتابه السودان الشمالى — على فترات وأزمنة مختلفة ، ولعلمهم قد اتخذوا الطريق المحاذى للنيل فى هجرتهم الى هذا الاقليم . ( محمد عوض محمد — السودان الشمالى ص ٢٤٩ ) .

ويضيف مكميل Macmichael الى ذلك أن نشاط الهواوير امتد فى موسم المطر الى مراعى شمال كردفان ، حيث أصبحوا يجاورون السكابيش من ناحية الشمال الشرقى .

(Macmichael : Op. Cit., p. 335).

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(5) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, pp. 531 - 533.

(٦) المصدر السابق ص ٥٣١ — ٥٣٣ .

(٧) رفاعه الطهطاوى : تخلص الابريز : ص ١٩٦ — ١٩٧ .

(٨) لويس عوض ( دكتور ) : المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث — البحث الثانى — الفكر ص ش .

(٩) نفس المصدر والصفحة .

(10) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, pp. 531 - 533.

(١١) نفس المصدر ص ٥٣١-٥٣٣ .

(١٢) نفس المصدر ص ٥٣١-٥٣٣ .

(١٣) المصدر السابق ص ٥٣١ .

(١٤) المصدر السابق ص ٥٣٣ .

لا يزال الهوارة في الصعيد يتحلون بصفة الكرم بصرف النظر عن المستوى المادي لاي واحد منهم وهم يمدون العون للفقير والمحتاج ، ويسارعون لنصرة الضعيف والمظلوم وتغلب عليهم النخوة والشهامة في معاملاتهم ومن هنا اكتسبوا محبة الناس وتقديرهم .

(15) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, p. 532.

(16) Burchardt : Op. Cit., 532.

ويضيف « بوركهارد » الى ذلك ، وقد اتاحت له فرصة زيارة هذه المراكز التي خضعت لنفوذ الهوارة « ان شيخ العرب همام كان يملك كنزا من الاموال التي جمعها اثناء حياته . وقد حاول خصومه العثور عليه . وتحت ضغط الاضطهاد الذي تعرض له اهله اعترفوا بأنه كان قد دفن هذا الكنز في الجبال بالقرب من بلدة هو ( مركز نجع حمادى - قنا ) . ولكن لم يعثر على شيء منه على الرغم من ان الكثيرين حتى اليوم ومن بينهم فلاحون معدمون وتجار متجولون وعرافون يتجولون في هذه المنطقة على أمل العثور على هذا الكنز » .

Burchardt : Op. Cit. p. 532.

(١٧) ففى عام ١٧٦٩ م ( ١١٨٣ هـ ) ارسل على بك الكبير محمد أبو الذهب بتجريدة الى الهوارة وعين ايوب بك سنجقا على جرجا . ولم تحدث مناوشات بين جيش محمد أبو الذهب وجيش همام الذى كان يمتد حكمه من النيا حتى الشلال ، وتم الصلح بلا قتال على تقف حدود همام عند برديس ( قرب جرجا ) ويضيف الجبرتي الى ذلك ان محمد أبو الذهب قائد على بك الكبير انجب ولدا فى ذلك العام فنزل له همام عن برديس أيضا اكراما له وهبة للمولود ( الجبرتي - ص ٣٣٥ ) .

وربما كان ذلك من قبيل الرشوة التى لم تفلح بدليل تجدد الحرب بين  
على بك والهوارة التى انتهت بهزيمتهم وزوال دولتهم .

(١٨) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج١  
ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(19) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, pp. 532 - 533.

(20) Burchardt : Travels in Nubia, Appendix III, p. 533.

(21) Ibid.

(22) Ibid.

